شظايا التفكير

بهاء مفيد قصّاب

رواية

شظايا التفكير

شظايا التفكير

(رواية)

بهاء مفيد قصاب

جميع الحقوق محفوظة © 2024م

يحتفظ مؤلف الكتاب بهاء مفيد قصّاب بحقوق ملكيتهِ للمواد المنشورة فيه ، ويتطلب إعادة نشر إي مادة إلكترونياً أو ورقياً الحصول على موافقتهِ مع الأشارة إلى المصدر .

Bahaa M Kassab - بهاء قصاب

bahaa_m_kassab

تنويه :

إيها القراء الأعزاء .

أحيطكم علماً بأن هذه الرواية التي في متناول أيديكم الآن تحمل في طياتها فيروس صغير يسمى 《التفكير》 قد يتسبب للبعض بحساسية أدبية مفرطة في المعنى .

مرة أخرى . .

قبل الخوض في غمار هذا الكتاب أود القول لك بأنك قد تشعر بالأساءة أو ربما يرتفع هرمون غضبك فجأة مما يجعلك تكرهني جداً . . لكن لن أخفيك إطلاقاً بأن فكرة هذا الكتاب سترافقك حتى النهاية لذالك فكر جيداً قبل الخوض فيه وتأكد بأنك ستتحمل النتائج وحدك .

مرة أخيرة . .

وجب علي التحذير .

بهاء مفيد قصاب

قررت قرائتها إذاً ! !

تروقني عدم مبالاتك ويثيرني إصرارك كقارئ يتذوق الكلمات

بعمق وليس من باب الفضول .

سأعترف لك إعترافاً صغيراً . . ولكن ليس الآن . . ربما في مكان

آخر من الكتاب . .

فكرةٌ نتقاسمها كمقدمة

أخبرني إيها القارئ الأنيق ..

ما هو شعورك إن قلتُ لك سأدخلُ لرأسكَ الآن ؟؟

ستقول بشكل بديهي : ما هذا الهراء ؟؟ كيف استطيع التحكم بك دون معرفة مسبقة ؟؟

أليس كذالك ؟؟

بصراحة لن أخفيك أبداً بأنني فعلتُ ذالكَ منذُ رؤيتك الغلاف ..

للتذكير : هذا الكتاب لا يحملُ لعنةً إطلاقاً وإنما يحملُ بينَ طياتهِ قدرةً غريبة بعض الشيئ ..

دع عنك ذالك واستمع لما سأقوله الآن ..

هل استوطنت في رأسك ؟؟ هل حقاً فعلت أنا ذالك ؟؟

ربما يعتريك شعور بالحماقة تجاهي لكن تذكر بأنكَ هنا ليس من باب الفضول وأنما لأنني أقوم بأجبارك على القراءة دونَ توقف ودون أن تشعر حتى . فأنا أجبرتك على ذالك منذ اللحظة الأولى التي بدأت التفكير بما تقرئهُ الآن ..أتظن بأنني لا أعلم ذالك ؟؟

دعنا من ذالك و اخبرني :

هل لديك القدرة على المتابعة أم أصابك الملل ؟؟

جيّا ملولة إيضاً .. ولا تحب أن يجبرها أحد على شيء مهما كان . ((حتى القراءة ..

قل لي بماذا تشعر الآن ؟؟

السخط .. الغضب .. التفاهة .. التعجب .. ام المتعة !!

مهما يكن شعورك فلستُ أهتم بهِ إطلاقاً .. هو شعورٌ سخيف وحالة كيميائية يقوم بفرزها إدرانالينك اللعين .. ولكن دعني أقوم بأخبارك بشيئ آخر :

أتذكر تلك الحادثة التي ما زلت تخبئها عن جميع ما حولك وتحتفظ بها في داخلك . تلك التي جعلتك تشعر بالندم الشديد .. أتذكرُ تلك النظرة التي وجهت إليك بعمق .. أتذكر الملامح لحظتها ؟؟ حين قررت الصمت ولم تجرؤ على المواجهة .. لا أظنك تذكر ذالك .

خذ نفساً عميقاً وأخبر نفسك : هل أنت راضٍ عما فعلتهُ منذُ فترة ؟؟

هل أنت راضٍ عن قرارك الذي ستجبرُ على تحملِ نتائجه ؟؟

هل أنت راضٍ عنهُ أم أجبرتَ عليهِ كما يحصلُ هنا ؟؟

لماذا تجعلني أشعر بأن الأستغراب بدأ واضحاً في ملامحك!

ما بك ؟؟ ما نزال في الصفحات الأولى .. لكنني أجدك ملولاً ..

أخبرني أيضاً ذالك الأمر الذي تؤجلهُ .. متى ستبدء بهِ ؟؟

متى تعزمُ على إنهاءهِ ؟؟ والتخلص من عبء هذا الحملِ الثقيل .

أخبرني هل تخلى عنك حقاً ؟؟ أم ما زال يحدثك ؟؟

سأعترف لك أعترافاً صغيراً ..

كل ما تفكر بهِ تتمُ قرائته من خلالِ تقنية الجذبِ و التي طُبِقَت عليكَ الآن .

الفصل الأول

آمنتُ بتعاليمكَ وكتبك وقوتك

إيها المعلم ((طالوث)) واني وهبت جسدي و نفسي وروحي لخدمتك وانني ملك يدك ..وهذا الشاب قربان لك .. فأعطني بعض من عظمتك .. وأدخلني تحت ظلك .. فأنا كلي ايمان بك وبعظمتك وقوتك ولك وهبت جسدي و نفسي .. وروحي ودخلت في طاعتك .. ولك وهبت جسدي و نفسي وروحي ..ودخلت في طاعتك ..

بالصدفة .. لقد وجدتُ هذه الكلمات مكتوبة على ورقة بجانب الصخرة التي أجلس عليها الآن وبخط سيئ بعض الشيئ ..

بصراحة لم أهتم لها أبداً .. فهي ورقة من مجموعة أوراق تتطاير في هذا المكان الذي ما يزال لغزاً حتى اليوم ..

هو مقصدٌ للعشاق نهاراً وكابوساً يصدر الأصوات ليلاً .

وكما الرواية تقول بأن فتاة شابة تدعى (نيروز) كانت تسكن هنا في هذا الخرابة ولا أحد يعلم عنها شيئاً غير أنها تعمل في السحر ، و قد أتى الكثير من الناس إليها ومن مناطق متعددة طلباً لتعلم السحر .

وبالرغم من تذمر أهل القرية منها إلا أن الخوف كان يسيطر عليهم بشدة ولو أخفو ذالك في داخلهم دون إظهاره . يحكى بأنها تستطيع فعل أشياء غريبة جداً خارجة عن إدراكنا و المعقول ..

ويقال بأن مختار القرية وبعض الأهالي فيما سبق أرادو إبعادها عن القرية تجنباً للشر الذي تقوم بإحضاره ويرافقها فقررو إحراق منزلها وإحراقها إيضاً . وأثناء وصولهم لمنزلها وجدوها تجلس أمام باب المنزل وهي عارية تماماً والنيران تشتعل بها وبالمنزل إيضاً .. لم تقف دهشتهم هنا وإنما حين بدأت ترحب بهم قائلة : أهلاً بكم جميعاً لكن أخبروني لماذا تأخرتم ؟؟ المعلم ((طالوث)) يريد رؤيتكم إيضاً . إدخلو .. إدخلو .. هو بإنتظاركم في الداخل .. ولم يتسنى لأهل القرية إلا أن يهرولو هاربين بعيداً عنها وعن منزلها

يحكى إيضاً بأنها جعلت المردة حراس لمنزلها ..

ويقال بأن محمود إصيب بالجنون ذات مرة بعد ان أراد حرث أرضه التي تقع بجانب منزلها وبالخطأ وضع قدمه على خط من الخطوط التي رسمتها حول المنزل.

وبعد توسلات وكرامات ووفود قامت بفك السحر وجعلته يعود لحالته الطبيعية .. ومن الاقاويل ايضاً بأنها كانت تسحر من تريد وبأي وقت كان .. فالكثير من شبان القرية خرجو من فراشهم دون وعي لمنزلها .. وعادو دون ان يدركو ما حصل ودون ان يصدقو ذالك ايضا .. ولا احد يعلم ما كانت تفعل بهم عندما تسحرهم .

لا احد يعلم من أين تعلمت أو أتت حتى بهذا السحر الغريب والعجيب ولكن الذي يعرفه الجميع بأنها كانت تمتلك خاتماً تستطيع من خلاله فعل ما تريد ..

ذات صباح أستيقظ أهل القرية ليجدو منزل الفتاة بهذه الحالة التي هي الآن عليه . كثرت الأقاويل وبدأت اللعنات دون أدنى جهد في معرفة السبب . حتى دون الخوض في السؤال عن الفتاة . فالجميع ظنوا بأنها عقوبة من الله أثر كفرها وإشراكها به . وفي الليلة ذاتها بدأ اللغز المحير يطوف أرجاء القرية .. وبدأت الأصوات تعلو ليلاً من هذا المكان .

الغريب في الأمر هو .. هل كانت الفتاة حقاً في المنزل أم لا ؟؟

هل ماتت أم ما تزال على قيد الحياة ؟؟

منذ ذاك اليوم بدأت الرؤية والتخيلات والتحليلات بشكل كبير ، فالأغلبية يأكدو رؤية الفتاة ليلاً من حين لآخر وما تبقى لا يجرؤ على التفكير بذالك .

هذا البيت الصغير المهجور أصبح عالمي الذي يحقن السعادة تلقائياً في جسدي ، أما صديقتي هبة فلا تحبه إطلاقاً وتخافهُ كثيراً لكنها تجبر على القدوم إلى هنا لرؤية رمزي . ((الحب الأوحد كما تدعي . أليست غبية حقاً ؟؟

أظنها كذالك ..

لقد نسيت أن أخبركم . أنني أخبئ هنا علبة سجائر . لست مدمنة على التدخين ولكنني أحب رؤية السيجارة في يدي . ولكن أمي لا تعلم بذالك ولم أخبرها بعد . لأنني أعلم جيدا بأنها تكرهني كثيراً .

سأخبركم إيضاً : ((رمزي .. يبلغ الثامنة عشر من عمره إي يكبرنا أنا وصديقتي هبة بثلاث سنوات ، أنه شاب وسيم وجميل . لكنهُ حقير قليلاً . فأنا أعلم بأنه يكذب على هبة ولكن لا استطيع قول ذالك كي لا تتهمني بالغيرة فوراً . ذالك لا يهم إيضاً . (هو كاذب وهي حمقاء .

لكن !! لماذا تضحك هبة ؟؟

بماذا يخبرها هذا المعتوه ؟؟

إنها تضحك بشراهة . تبدو سعيدة كثيراً . هل حقاً يخبرها قصة مضحكة لهذه الدرجة ؟ هففففف .. فكري يا جيّا فكري جيداً ..

((وجدتها .. سأفعل ذالك .. إقتربت منهما بذعر وخوف .. بدأ النظر إليّ بدهشة جعلت هبة تقول : ((جيّا ماذا حصل ؟ هل أنتِ خائفة ؟

أخبرتها بأنني سمعت صوتاً مخيفاً وراء الحائط .

تستفسر وهي تنظر بخوف : إين ؟؟ متى ؟؟

أشيرُ بيدي نحو الركن المتبقي من المنزل والذي مايزال كما هو ليشكل غرفة صغيرة بنصف حائط . وقف رمزي بإرتباك وهو يستفسر : هل أنت متأكدة ؟؟

نعم متأكدة .

قالت هبة : إذا هيا بنا .. لنذهب بسرعة .

نظرتُ إلى رمزي بشيئ من الحيرة ..يخفي خوفهُ وذعرهِ جيداً مما جعلني أقترب من نصف الحائط هذا .. رافقني رمزي بهدوء وتتابعنا هبة بعيناها في خوف .

نسيت أخباركم : (هذا الركن هدم منه نصف حائط وبقي بحالة جيدة لكن لا أظن بأن أحداً أقترب منه فهو مغلق الجوانب لكن له فتحة صغيرة تتسع لعبور شخص فقط) و بالرغم من إنني ادركُ بأن لا شيئ هنا ولكن قررت أن أبرهن على خوف رمزي وترددهِ . أبعدُ بضعة أحجار ثم أقترب من فتحة الغرفة. أنظر بعيناي بفضول لكن لا أجد شيئاً يستحق الأهتمام . وشاحٌ مهترئ .. ركام مثل هرم صغير .. الواح خشبية متناثرة ومختلفة الحجم .. بضع نفايات خلفتها الطبيعة ..

ينظر رمزي بتردد وهو يقول : لاشيئ .. لا شيئ هنا .

أنظر إليه بعدم أهتمام قائلة : أعتذر .. ربما تهيأت بذالك .

ثم أعود لمكاني و أعاود الجلوس على الصخرة و أترك أمام رمزي المجال لكي يتزايد هرمون فحوليته أمام هبة ويبدأ أخبارها بأشياء جديدة و قصص لا أظنها قد تحدث .. هل كان علي أخبارهم بوجود وحش هناك ؟؟ أم كان علينا المغادرة حين أقترحت هبة ذالك ؟؟ لا يهم ذالك و لكن هذا اللعين بما يحدثها مجددا ؟؟

لقد نفذ صبري . ماذا يقول لها ؟؟ لماذا تضحك هبة بهذه الطريقة ؟

نسيت أن أخبركم : حينَّ أتى رمزي إلى هنا أحتضنتهُ هبة بشوق ووضعت رأسها على صدره إيضاً . (تظن نفسها ساندريلا ، أوووه لو أخبر أمها بذالك كم سيكون المشهد رائعاً)

إنظرو !! يا للوقاحة .. إنهُ يحتضنها مرة آخرى .. والغبية ترفرف لهُ بجفونها .. ((يا للحماقة ..

هففففف لقد قمت بتدخين عدة سجائر . أين أنت يا أمُّي لكي ترينَّ إبنتك جيّا وهي تدخن ، أحتّمُ بأنكِ ستحبينها بقوة .

لن أبقى أكثر من ذالك .. أشير بيدي إلى هبة لكي نذهب .

تودع رمزي قبل أن تقترب مني بغيظ وهي تردد : لقد أفسدتِ حديثاً مهماً .

قلت دون تفكير : تقصدين أفسدتُ عليكم عناق حميمي ، ثم أواصل القول بغيظ : إبقي هنا إن شئتِ .

تتبعني وهي تقول : لا لن أبقى .. لنذهب

عدنا أدراجنا للمنزل وكل منا يحمل غيظاً تجاه الآخر . ودعتها عند باب منزلها و أكملت سيري الى البيت المقدس ، بيتي الجميل .

لم تفارقني الأفكار طيلّة الطريق ، أحداثٌ متزاحمة ، صور متراكبة ، وأشياء لم تحصل بعد .

أستقبلتني أمُّي عند الباب ببضعِ نظراتٍ عميقة وتهديد واضح لا يخفي خلفه إلا كرهها لي والذي لم أعد أطيقُ تحملهِ . إنها حقاً تكرهني . دخلت لغرفتي بسرعة مبتعدة عن نظراتها الحادة ثم جلستُ أمام المرآة وأنا أفكر في اللاشيء . لا .. أنني أكذب .

أفكر بأنني جميلة وهذا الجمال يجب أن أستغلهُ في التحدث للجميع.

ولكن بصراحة أنا لا أحب ذالك .. ربما هذا شعور الفضول لا أكثر .

فأنا مللولة جداً . ولا أحب أن يجبرني آحد على شيء مهما كان .

كيف سأتقبل فكرة وجود شخص في حياتي ؟؟

أنا جيّا العنيدة المرحة الطفولية كيف لي أن أفسح المجال لإحدهم بأن يستوطن بداخلي ؟؟ و أن يتحكم بي ؟؟
كيف ذالك ؟؟

يا للحماقة .. نسيتُ أن أخبركم ..
مرحباً يا أصدقاء ..
أنا أدعى جيّا عبد الرحمن . إنني في الخامسة عشر من العمر .. الجميع يقول بأنني فتاة شقية كثيراً لكن لا أشعر بأنني كذالك ..
أعترفُ بأنني فتاة فضولية . أحبُ استكشاف كل شيئ . وأكرهُ هبة صديقتي .
شعري أسود لامع ولون عيناي بني داكن ، لن أخفيكم إيضاً فأنا أملكُ غمازة واحدة فقط و الثانية ربما بقيت في أحشاء أمي .
لكن !! هل لذالك تكرهني أمّي ؟؟
أنا لا أجدُ نفسي جميلة بالرغم من أن الجميع يحسدونني على هذا الجمال .
سأخبركم أيضاً : أمّي تقول بأنني لعنةٌ أنزلت عليها من السماء .
إنها تكرهني و لا أعلمُ السبب .

يوم جديد تفرضهُ الحياةُ علينا .

أفتح عيناي لأجد خوخا أمامي وهو يحاول إيقاظي قائلاً :

جيّا .. جيّا .

أنظر إليه بأستغراب !!

يواصل القول : أمُّي تريدك الآن . إنها بإنتظارك في المطبخ .

أبعدهُ بيدي وأنا أردد : حسناً .. أذهب من هنا .

أحاول عدة مرات تتمة الحلم لكن دون جدوى .. كم أنت أحمق .. لقد أفسدت علي مواصلة هذا الحلم الجميل . أنهضُ بإنزعاج كبير فأشعر برأسي بدأ يؤلمني .هل لأنني لم أكمل الحلم ؟؟

نسيت أن أخبركم : (خوخا تعني خالد أخي وهو لا يحب أن أناديه بذلك)

أفكر للحظة .. ماذا تريد أمُّي ؟؟

هل تريد الأعتراف بكرهها لي .؟

صباحُ الخير أمُّي .

تنظرُ إليَّ بعصبية دون أن ترد على أبنتها .. بالرغم من قولي لها صباح الخير . لكن قلت لكم بإنها تكرهني .

بعصبية قالت : جيًا .. أين هو مقياس الحرارة الذي أحضرتهُ منذُ يومين ؟؟

أقول بتردد : ماذا أمُّي ؟ ثم أضع يدي على رأسي و أواصل : أنا رأسي يؤلمني ولا أعلم عما تتحدثين !!

تقول بالعصبية ذاتها : جيًا لا تختبري صبري .. إين وضعتهِ ؟

أفكر لعدة لحظات (كيف سأخبرها بأنني البارحة كنت اكتشفُ درجة الحرارة في الفرن ، هل ستفرح لأنني أصبحت مكتشفة ؟ أم ستضربني لأن الفرن اذابهُ ؟)

((في الحالتين لا أظنُ بأنها تفرح لأكتشافاتي . فأنا على يقين بأنها تغار مني . فكري يا جيًا فكري ماذا ستفعلين ؟

قلت بصوت مبحوح : أمُّي أريدُ أخبارك بشيء هام جداً .

تخفف من حدتها قليلاً ثم تستفسر : ما هو يا جيّا ؟؟ أخبريني ما الأمر ؟؟

أبتلعُ ريقي ثم أستجمع فوضوية الأفكار فأقول : البارحة في عمق الليل وحين كان الجميع نائماً رأيت خوخا يخرج من غرفته كاللص . لحظتها أدركت بأن أمر خطير سيحصل . ولأنه أحمق لم ينتبه بأنني أراقبه ، يا أمُّي تأكدتُ بأن نيتهُ كانت بالتمرد والعصيان على أوأمرك حين تخبريننا دوماً بأن لن نبقى لوقت متأخر من الليل ، ولأنني أقدسُ تنبيهاتك وآوامركِ نفضت مشاعري نفضةً واحدة و قررت أن أكشف مخططاته كلها وأهاجمهُ في المطبخ دون تردد . وللأسف وجدته يملئ كأس ماء كبير ، أنهُ يهدر الماء يا أمي .

تصرخ دون وعي : جيااا اين هو مقياس الحرارة ؟

أقول بسرعة : بالفرن يا أمي بالفرن

تمسكني من يدي وهي تقول : ماذا ؟ ماذا يفعل بالفرن ؟

أفلت يدي بسرعة وأتجهُ نحو الفرن وأنا أردد : حسناً يا أمي سألقي عليه نظرة .

تقذفني بملعقة كبيرة كانت في يدها وهي تردد بغضب :

جيااا لا أريد رؤيتك أبداً .. أذهبي ، أغربي عن وجهي (لقد بدأ الكره الذي بداخل أمي يخرج على شكل دعوات ، و لن أخبرك بها فهي تعويذة خاصة بأمي فقط)

دون أدنى جهد في التفكير (عالمي الخاص أنني أحتاجك لكن قبل ذالك سأذهب لصديقتي هبة التي لا أحبها أطلاقاً .)

نسيت أن أخبركم : أنا أعيش في الريف .

دخلتُ غرفتي بعيداً عن دعوات أمي وتعاويذها .. قالت بأنها لا تريد رؤيتي ((إنها تكرهني كثيراً و دون سبب . لذالك يجب عليي إقناعها بإنني إبنةٌ ذكية وجميلة ولطيفة إيضاً .. سأنزع عنها غشاء الكره وأجعلها تحبني بطريقة مميزة .. سأبهرها بذالك ..

لذلك يجب أن أجد خاتم (نيروز) الذي تفعل من خلاله كل ما تريد .

يجب إن أجدهُ في مكان ما من الخرابة . أخفيتُ ذالك بداخلي ثم إرتديتُ فستاني الأزرق والذي أحبهُ كثيراً وذهبتُ إلى أمي بملامح لطيفة .. لم تكترث لوقوفي بجانبها ولم تكترث لما قلتهُ (أمي أريد الذهاب إلى صديقتي هبة))

قلت مرة آخرى بشيئ من اللطافة : أمي .. أنا أعتذر عن ما فعلتهُ بك وأعدكِ بأنني سأكون إبنة تفخرين بها لذا أرجوكي دعيني أذهب إلى صديقتي هبة.

نظرت بطرف عيناها نحوي ثم قالت : ألم تخرجي بالأمس إليها ؟؟ ثم واصلت بحدة ظهرت في نبرتها : أدخلي لغرفتك لن تذهبي إلى مكان ..

بدأ كره أمي واضحاً أمامي لذا لا شعوريا نظرت إليها بشيئ من الحزن ثم أجهشت بالبكاء فجأة .. إقتربت مني وهي تقول : لا أدعك تذهبين إلى مكان مهما ذرفت من دموع .. عودي لغرفتك إيتها المحتالة الشقية ..

قلت وأنا أمسح دموعي : لكنني لا أبكي من أجل هذا .. قالت بشيئ من الدهشة : ولماذا تبكين إذاً ؟؟

قلت بعد أن مسحتُ دموعي : لأن أخي يهددني بأفشاء السر .

تقول امي : سر ماذا ؟؟ ماذا تخفين عني ؟؟

قلت : لا أخفي شيئاً يا أمي .. بصراحة وضعت قليلاً من لاصق الفئران على الثياب المعلقة في الخزانة ..

بلطف : ولماذا فعلتِ ذالك ؟؟ اخبريننني ؟؟

قلت : لأن اخي يسرق النقود من سترة ابي دوماً وأردت القبض عليه بالجرم المشهود ولكنهُ لص لعين .. وهناك أمر خطير يا امي ايضاً ..

اخبريني وماذا بعد جيّا ؟؟

سمعت أبي يقول إن ضربتني سيتزوج عليكِ واتوقع بانه قد يطلقك .

لذالك كوني لطيفة معي يا امي وسامحيني بحقك ..

قالت أمّي : هكذا إذا ؟؟ حسنا يا جيا .. لن اضربك ابدا ولكن سأذبحك الان .. اهرب من امامها وانا اردد كالعادة :

((أمّي تكرهني دون سبب .. أمّي مني دوماً تغضب ..

لا أحد يكرهني .. الجميع يحبون جيّا .. إلا أمي هي الوحيدة التي تكرهني رغم كل ما أفعله من إنجازات ..
أنا فتاةٌ ملولة جداً ولا أحب أن يجبرني أحد على فعل شيئ مهما كان ..
أنا فتاة طيبة القلب .. مرحة .. ذكية .. أحب المغامرات لدي عدة إكتشافات عظيمة ولكن أمي لا تعترف بذالك ..

عندما سأصبح مكتشفة عالمية أخبروها بأنني لن أتخلى عنها .. عندها لن يكون لدي وقت لأخبارها بذالك .. ذات يوم سأجعلها ترفع رأسها عاليا كي ترى إبنتها لانني قررت السكن في رأس البرج الذي سأبنيه يوما ما .. لاتنسوا ذالك .. فهذه وصيتي الأخيرة ..

أنظر إلى ما كتبت بتمعن .. ما هذا الهراء ؟؟
أمزق هذه الوصية السخيفة ثم أدخل في فراشي بهدوء وأنام ..

عدة إيام مضت دون أن أذهب لعالمي الخاص والذي اخبرتكم بأنهُ يحقنُ السعادة تلقائياً في جسدي .. البعض منكم قد يتساءل عن السبب وانا بدوري سأخبركم بصراحة مطلقة عن ذالك .

((رمزي حبُ هبة الأوحد أنهى علاقتهُ بها فجأة مما جعلها تبتعد عن ذالك المكان .. ورغم إلحاحي المتكرر عليها إلا أنها لم توافق أبداً وقالت بوقاحة بأنها تكره هذا المكان كثيراً .. يذكرها بحبيبها السابق والخائن ((رمزي ..

أخبروني الآن .. هل أذهب إلى هناك وحدي ؟؟ هل أفعل ذالك ؟؟
فأنا قررت البحث عن خاتم ((نيروز)) ورؤية معلمها (طالوث)
فكرت بذالك عدة مرات وقررت الذهاب قراراً لا رجعة فيه .. لكنني بصراحة لا استطيع الذهاب وحدي. أريد أن يكون برفقتي آحد ..
نسيت أن أخبركم : (رمزي أنهى علاقته بصديقتي هبة لأنني طلبت ذالك .. فأنا حبيبتهُ الجديدة وهبة حتى هذه اللحظة لا تعلم شيء .
إنتظرو لحظة ..
لن تخبروها إليس كذالك ؟؟
حسناً إذاً ..
الآن أستطيع أخباركم إيضاً بأنني واعدت (رمزي على لقائهِ ليلاً .
لا تتسائلو كثيراً .. سأخبركم بكل شيء ..

الجمال في بعض الأحيان يكون له دوراً هاماً في إقتناص الفرصة . والذكاء في بعض الأحيان لهُ دوراً هاماً في إدارة الفرصة .. أما الجمال والذكاء حتماً لهما دوراً هاماً في خلق الفرصة ..

هذا كل شيء أردت أخباركم به .. ثم أنني سأهرب من المنزل دون أن يراني آحد .. أستطعت إقناع رمزي بالذهاب إلى هناك ليلاً مقابل شيئ سأخبركم عنهُ لاحقاً .. ولم يتبقى أمامي سوى إيجاد خاتم نيروز وطلب كل ما أريد ..

*****

إستطعت الخروج من المنزل في منتصف الليل بعدما تأكدت بأن الجميع غارقون في النوم .. ربما ما أفعلهُ ضرب من الجنون ولكن يجب أن أجعل أمي تحبني وتفخر بي .. رمزي بانتظاري ويبدو بأنهُ متردد قليلاً..

أقول بتعجب : هل أنت خائف ؟؟

ثم أواصل بسخرية : ماذا ستفعل إذاً حين تجد نيروز بإنتظارنا الآن ..

يبتلع ريقه قبل أن يقول : جيًا كفى هراء .. ما تقولينه خيالاً ليس إلا .

ثم أنك لماذا تريدين المجيئ إلى هنا في هذا الوقت ؟؟

أقول : حسناً .. حسناً .. إتبعني فقط ..

بعد جهد ومخاوف عديدة وأفكار تزاحمنا في هذه العتمة وصلنا إلى المكان .. رمزي أراد العودة عدة مرات لكنني منعتهُ من ذالك بعدة طرق نتحدث عنها لاحقاً .. أجلس على الصخرة التي أخبئ بها علبة السجائر ..

تظهر رمزي بنظرات خوف واضحة قبل ان يقول بتلعثم : ماذا سنفعل الآن ؟؟

أقترب منهُ وأنا أهمس : أتذكر حين أخبرتك أنت وهبة بأنني سمعت صوتاً من وراء نصف الحائط هذا ؟؟ هذه الغرفة الصغيرة لا أظن بأن أحد تجرأ ودخل إليها لذا سنبحث عن خاتم نيروز بالداخل .

أشعر برجفة رمزي الذي تعمد إخفائها قبل أن يقول : جيّا ما رأيك أن نعود أدراجنا .. وفي الصباح أعدك بأنني سأبحثُ عنهُ في كل مكان .. أرجوكِ دعينا نعود .. إنظري جيداً .. كيف سنجد الخاتم في هذا الظلام كُله ؟؟

أمسكتهُ بيده ثم قلت : لن نعود أبداً لذا أستجمع قواك وأدخل أمامي ..

قال بدهشة : لا .. لن أدخل أبداً .. إن أردت الدخول فأدخلي وحدك .. أما أنا سأنتظرك هنا ..

لن أخفيكم أبداً بأن رهبة المكان في هذا الليل بدأت تسري في جسدي لكنني لم أدع الخوف يتغلغل داخلي لذالك أبعدتُ كل الافكار جانباً وقررت الدخول وحدي وأنا على يقين بأن رمزي سيدخل لاحقاً

أخذت الكشاف الصغير من يده ثم أخبرتهُ بأن يقف بجانبي ويدفعني للداخل قليلاً .. ((أخبرتكم من قبل بأن الفتحة لا تسع إلا شخصاً واحداً ولكنني لم اخبركم بان وزني زائد بعض الشيئ ..

أدخلت رأسي من الفتحة ونصف جسدي محاولة الدخول وانا اهمس ادفعني بقوة ايها الاحمق .. بعد معاناة وزحف استطعت الدخول بصعوبة .. بحثت في المكان كلهُ ولكن دون جدوى .. الوشاح المتهرئ الذي اخبرتكم عنه يبدو فستان من فساتين (نيروز

أما الألواح لم أجد فيها شيء .. نظرتُ عبر الفتحة إلى رمزي .. انهُ يقفُ بخوفٍ وهلع وهو ينتظر خروجي بفارغ الصبر .. وضعتُ الكشاف جانباً وبدأت الحفر بجانب نصف الحائط .. قمتُ بحفر حفرةٍ صغيرة دفنتُ بها ثوبي الأزرق الذي احبهُ كثيراً ..وأنا أتمتم بهدوء تارةً وتارةً أخرى بصوت مسموع ..

قد يتساءل البعض عن سبب دفن الثوب .. لا تشعرو بالملل مثلي .. سأخبركم بكل شي ولكن تمهلوا قليلاً ..

هل تذكرون ما اخبرتكم في مقدمة الفصل الأول ..((هذه الورقة التي وجدتها بجانب الصخرة .. لقد كان برفقتها عدةُ أوراقٍ أخرى تنصُ على تعاليم ((طالوث والتي تقول بأنهُ يريد ثوباً من ثياب من يريد إيجاد الخاتم .. بالأضافة لذالك ما كنت أتمتمُ به هو ذاته النص الذي يجبُ قراءته كطقس من طقوس الولاء : آمنتُ بتعاليمكَ وكتبك وقوتك إيها المعلم ((طالوث)) واني وهبت جسدي و نفسي وروحي لخدمتك وانني ملك يدك ..وهذا الشاب قربان لك .. فأعطني بعض من عظمتك .. وأدخلني تحت ظلك .. فأنا كلي ايمان بك وبعظمتك وقوتك ولك وهبت جسدي و نفسي .. وروحي ودخلت في طاعتك .. ولك وهبت جسدي و نفسي وروحي ..ودخلت في طاعتك ..

إقتربتُ من الفتحة ثم نظرت إلى رمزي الذي يديرُ ظهرهُ لي وقد كان يقف مرعوباً وفي حالة هلع وخوف شديد .

هل حقاً يريد رمزي العودة مسرعاً للمنزل ؟؟

أم يريد سؤالي عن الخاتم أولاً ؟؟

أفكرُ (لن أدعهُ يعود سأمسكهُ من يدهِ قائلةً : هدئ من روعك .. تبقى أمامنا شيئاً صغيراً وبعدها سنعود للمنزل .

حرك رمزي يديه في الهواء وكأنهُ يشدُ شيئاً ثم قال : لقد أمسكتُ بيدك .. لا تخفِ يا جيّا .. ستخرجين من هناك .. بدأ تحريك يداه في الفناء بصعوبة وهو يردد قائلا : حاولي مرة آخرى .. لن أدعكِ وحدك هنا .. أفكرُ بأستغراب : إلى من ينظر رمزي ؟؟ وماذا يفعل؟؟ ثم أنهُ مع من يتحدث ؟؟

نظرَ رمزي إلي فجأة ثم قال : أصمتِ أنتِ يا نيروز ..

قلت بصوتٍ مبحوح : أنا جيًا يا رمزي أنا هنا داخل الفتحة .. لماذا تنظر إلى هناك ؟؟ تعال وساعدني لأخرج ..

قال رمزي بدهشة : حقاً يا نيروز هل تظنين نفسك ذكية ؟؟ إنني أمسكُ جيّا هنا .. ولن افلت يدها واستمع إليك ..

اقول بحيرة : رمزي ماذا حصل لك ؟؟ هل انت تمازحني ؟؟

عاود النظر إلي وهو يقول : اصمتِ يا نيروز .. لن استمع إليك .. فقد خرجت جيًا من الفتحة الآن ..آلّا ترينها .. وسنذهبُ الآن ..

أنظر بتمعن حول رمزي ولكنني لا أجد شيئاً ..ثم أقول : رمزي إلى إين تذهب ؟؟ لا تدعني هنا ؟؟ أنا جيّا .. ماذا حصل لك ؟؟

يختفي رمزي من أمام ناظري في عمق الليل وابقى في الداخل وحدي .. عدة لحظات عاودت بها تكرار الطقوس ولكن لم يحصل شيئاً خارق للطبيعة

لم يظهر المعلم طالوث ولم يحضر أمامي خاتم نيروز ..

حاولتُ الخروج من الفتحة ولكنني لم أستطع فعل ذالك لأنها بدأت تضييق على جسدي .. وبعد عدة محاولات باءت بالفشل سمعت صوت رمزي فجأة وهو يضحك بقوة قائلاً : لقد علقت هنا يا نيروز .. لقد علقت هنا ولن أساعدك ..

رفعت رأسي لأطلب منهُ مساعدتي وإنني جيّا ولكن عيناي اتسعت بعمق عند اتضحت الصورة امامي .. إنها فتاة وليس رمزي .. شعرها يغطي وجهها بالكامل .. حركت رأسها يمينا وشمالا وهي تهمس كفحيح افعى :

هل وجدتِ الخاتم ؟؟

ابتلعُ ريقي ثم أحاول العودة للداخل ولكنها تمسكني من يدي فجأة وهي تواصل :

إلى إين ؟؟

اغمضتُ عيناي بسرعة و أنا أقول دون وعي : أفلتي يدي ثم حاولت سحب يدي بقوة ولكنني لم استطع ذالك ..

بعد عدة لحظات .. فتحتُ عيناي بهدوء مرةً اخرى لكنني لم أجدها أطلاقاً ((لقد أختفت فجأة ..

بعد عمليات البحث المكثفة تم العثور على جثة الشاب رمزي الأحمد أمام ركام منزل قديم وتم العثور إيضاً على جثة الفتاة جيّا عبد الرحمن وجسدها معلق في فتحة صغيرة من المنزل ذاته في ظروف غامضة .

لماذا تفعلين ذالك ؟؟

هل أنت تتظاهرين بالنوم ؟؟

كفى حزناً و بكاء يا أمّي فأنا أراكِ جيداً وبوضوح ولكنك لن تستطيعي رؤيتي ابداً .. أمسحي دموعك (أنا أحبك ..

أرجوك سامحيني يا أمي لا تلومي نفسك إطلاقاً .. فإن ما حدث لم يكن خطأكِ أنتِ وإنما خطأي أنا .. ظننت بأن خاتم نيروز قد يحقق كل أمنياتي ولكنني لم أجده .. أقسم يا أمي لو وجدته لم أكن سأطلب شيئاً سوى أن تكوني سعيدة أنت وأبي وأخي خالد .. وعدة طلبات إيضاً كي لا أكون كاذبة معك يا أمي لذا أرجوك كفاكِ بكاءاً .

هل تعلمي بأنني من هنا أرى كل شيء و استطيع أيضاً الدخول لكل مكان في عالمكم ..

أنا في السماء يا أمّي .. هنا حيثُ الأرواح تستقر .. نراكم جميعاً ونرى جيداً ما تفعلون ..بعضُ الأرواح أخبروننني بأنهُ بإمكاني الذهاب إلى إي مكان على الأرض ودون أن يراني أحد ولاننني فضولية يا أمّي و أنتِ تعلمين ذالك قررتُ استكشاف عالمكم عن قرب ورؤية ما يحصل فيه ..

إخيراً .. سأعترف لك بشيئ ..

رمزي مات بسببي دون ذنب .. ولكنه هنا بجانبي واخبرني بأنه سامحني ولن يشكوني إلى الله ..

انا أحبكِ يا أمّي .. سامحيني بحقك ..

الفصل الثاني

♧ إن عملية الخلق هي اشبه ما تكون بعملية ابتكار يقوم بها الخالق ((إي الرقم واحد والذي تليه بقية الأرقام التي تنبثق منه ..

♧ عند الرقم تسعة تقف الدورة الرقمية بأنتظار الصفر لتكتمل به الدورة العددية بدورة جديدة .

♧ مقر البدايات .. عملية الخلق تتجلى في وعي الانسان وتظهر في كيانه التي جعلت من الفراغ عالماً .. بإيقاظ النظام الذي أودعه الخالق فيه .. هذا ما يتحدث عنه علم الأرقام والعدد .. هذا العلم العجيب والصادم إيضاً فقد تحدث هذا العلم عن الأرقام ونشئتها وعلاقتها بالخلق والكون و بحسب ما يقوله الفيزيائي الفرنسي الكبير ((جان شارون)) الذاكرة الكونية هي عبارة عن سلسلة متواصلة من الأحداث والترابطات بين جميع البشر .

الأفكار لا تموت .. لا تزول .. لا تفنى .((إلا حين تنفذ .

إن الفكرة هي رمز الصفر ..

تبقى هذه الفكرة في الوعي الباطن .. تستقر في الذاكرة الكونية حيث بقية الأفكار .. تجتمع برتابة وأناقة إلى حين آوان تنفيذها .. ولكن الغريب في هذا بأن الفكرة التي تقطن في الذاكرة الكونية إن لم تنفذ بواسطة الشخص نفسه ((صاحب الفكرة .. فإنها حتماً ستنفذ عن طريق شخص آخر قد يتلقى او يستلهم او يستقطب خياله الفكرة ذاتها من الذاكرة الكونية ..

الأفكار صلبة جداً وتستمد صلابتها من الأرواح .. وكما تنفلق الشظايا وتتناثر من جسم صلب تبدو الأفكار تنهال علينا من عالمكم بقوة يا أمي وكأنها نيران تقذفون بها السماء ..

لا تخافي يا أمي إنني أستطيع الأختباء جيداً دون أن تمسني هذه الشظايا .. سأخبرك عن بعضها فأنا اعلم جيداً بأنك أشتقت لهمس ابنتك جيا ..

ضمن طقوس خاصة يا أمي أشعلت نهى الشمعة الأخيرة ثم جلست في منتصف الدائرة التي تحيطها الرسومات والشموع بشكل تام ..

يخترق عتمة المكان وهج الشموع ودندنة نهى بكلمات غير مفهومة على شكل تعاويذ او ربما طلاسم ..

إنها المحاولة الأخيرة لنهى بعد عدة محاولات فاشلة يا أمي ..

لم يحصل شي خارق للطبيعة بعد ..

لقد حاولت عدة مرات منعها وأنا أهمس لها و لكن كما تعلمين بأنه عندما يعزم المرء على أمر لا يستطيع ان يؤثر عليه أحد ..

في الجانب الآخر ..

أسند معن رأسه للحائط بعدما أفرغ كأس النبيذ في جوفه .

إنهُ يفكر بجهد كبير لعلهُ يستطيع سداد ديونه . وتلبية حاجات زوجته المريضة .. وابنته الصغيرة إيضاً .. أطفئ سيجارته التي تستنزف من روحه جميع الحلول مستسلماً لفكرة الانتحار هارباً من الحياة قبل أن يغلبه النوم في لحظة ..

في مكان ما من عالمكم كانت ندى تخشع لله رحمةً وغفران..
يبدو عليها ذنوب كثيرة يا أمي ..لكنني أرى جيداً صدق دموعها في لحظة التجلي .. ((سهام الليل لا تخطئ أبداً ..

ثم إنني سمعت ذات مرة طفل صغير يستفسر ببراءة من أمهِ!! الجنة تحت قدميك فماذا يوجد فوق رأسك !! حقا يا أمّي ماذا يوجد فوق رأسك ؟؟

وهناك إيضاً رجلٌ عجوز غارق في كآبتهِ دون أحلام يتمناها .. يئنُ من تعبِ واتلاف خلاياه العصبية والجسدية بعد رحلةٍ طويلة قضاها مع الحياة .. أصبحَ يستيقظ متألماً يا أمّي .. يستسلمُ لألمهِ ثم يكملُ معاناتهُ بإنتظار الموت ..

رأيتُ يا أمّي في عالمكم بأن الخيانة هي أن نخبئ مشاعرنا عن من نحبهم .
رأيتُ الحظ يتوجُ إبن اللقيطةِ على عرشِ الإباء .. و الأثارةُ تبحثُ في القبحِ عن الجمال. آما الخبث فقد تبنى صندوق الرعاية ليسرقَ مالاً .
رأيتُ يا أمي طموحاً يسعى لأن يكبر في أحضانِ العجز . رأيتُ الكذبَ يحمي الحقيقة من الضياع ..

صلابة الوجه والجمود لا تعني عدم الشعور ..
تحتاج الكتابة لفسحة واسعة من الخيال .. كما تحتاج التحديات الكبيرة إلى إرادة صلبة في إعادة التوازن ..

أغلقت سميرة باب الغرفة بهدوء قبل أن تقترب من إبنتها الوحيدة (سها ..تتأملها وهي نائمة كملاك .. طير من طيور الجنة .. رقةٌ و براءة الأطفال هي سحر يعبر بداخلنا تلقائياً عند رؤيتهم ..
حاولت سميرة تثبيت يدها المرتجفة لعدة لحظات من رعشة لف الأقراص .. لم يتسنى لها التوازن .. وضعت قبلة على جبين إبنتها وغادرت الغرفة بالهدوء ذاته .

*****

بعد أن إرتدت فستانها الأزرق .. وقفت سميرة أمام المرآة للحظات طويلة تتأملُ فيها تموجات خدها الذي أخفتهُ حقنةُ السيلكون تارةً.. وتارةً آخرى تستنكر ميول خط الإيلاينر والذي يبدو منحنياً بعض الشيئ ..لم ترمش عيناها طيلة اللحظات تلك مما جعلها تضع بحرفية حمرة فاقعة على شفتاها .. تغتصب بها لونهما الطبيعي ..تعيدُ هندسة العقد الذي يتدلى من رقبتها وحتى مفترقِ صدرها الثائر .
أنشئت في جسدها مستوطنة لرذاذ الرائحة المصطنعة قبل أن تضع زجاجة العطر جانباً و بنظرة غرور تودع إنعكاسها على المرآة وتغادر المنزل .

لم يكترث مسعود طيلةَ الوقت الذي جعلهُ قيدَ انتظارها في سيارتهِ الفارهة .. ربما كان ذالك بسبب الأفكار التي ساعدتهُ كحافزٍ قوي على أبتكارِ مشاهد وتخيلات عزم على تحقيقها ..

أغلقت سميرة باب السيارة مُبادرةً بالقول : هل انتظرتَ طويلاً ؟؟ دون تفكير قال : لا .. ثم إنني على أستعداد لأنتظاركِ العمر كله ..

يتبادلا ضحكة صغيرة تزامناً مع انطلاقهِ بسيارته الفارهة إلى وجهة لا يهمنا تحديدها بقدر ما يهمنا تذوق رائحة سعادتهما المطلقة ..

إلى إين سنذهب هذه المرة ؟؟ (تستفسر سميرة .

إنها مفاجئتي لك ((قال مسعود ثم أظهر إبتسامة عريضة وهو يضغط على زر التشغيل فتصدح موسيقى موزارت بسمفونية رقم (40 .

تزحف ذبذبات الموسيقى على جسدها فيتصدى لتلك الذبذبات رذاذ عطرها . تعبق رائحة السعادة التي تخفي نقص الدوبامين مما يجعلها تضع يدها على ركبتها و تضغط قليلاً لعلها تخفي رجفة يدها المفاجئة ..

نظر مسعود إليها بطرف عينيه فأظهرت إبتسامة عريضة وهي تقول : تروقني هذه الموسيقى .. لقد أستطاع موزارت بعبقرية أن يجعل من هذه السمفونية جرعة مضاعفة للراحة النفسية .

رد بإبتسامة صغيرة توافقها القول ثم أدار مقود السيارة وهو يواصل :

خمس دقائق فقط .. لقد إقتربنا من المكان ..

أبعدت سميرة الشعور بالأستياء عن ملامحها وهي تحاول إبقاء الإبتسامة على وجهها ..

أحياناً تخفي الأبتسامة خلفها ما لا نريد البوح بهِ .. تخفي خلفها حروب داخلية كثيرة أو ربما أحاديث وجب علينا الأحتفاظ بها .. أو حتى مشاعر نخبئها دون قدرة على إطلاقها علانيةً .

وقف مسعود بالسيارة أمام غرادش بلازا ..((منتجع سياحي يقع في قمة الجبل .. يشرف بإطلالة خاصة على طبيعة واد عميق .
أرتجلَ من السيارة مسرعاً لفتح الباب الآخر قبل أن يقول :
ستكون ليلة مميزة جداً .. ثم أمسك بيدها وهو يواصل : بهدوء يا سيدة الياسمين ..

تسعٌ وثلاثون مليون ليرة سورية هو المبلغ الذي تم إيداعهُ لحجز المنتجع بالكامل ..لم يكن المبلغ عائقاً . الأهم من هذا كله ما وضعهُ نصبَ عينيه ..(ليلة مميزة فقط.
ما أرادهُ مسعود تراهُ سميرة الآن بفولكلور متكامل بأدقِ التفاصيل .. (إنهُ يعلم جيداً ماذا تُحب ..
الإنارة هادئة ومريحة للنظر .. أما شعورهما بدأ الرقص مع إيقاع النغم تارةً وصدى الموال تارةً آخرى ..
تنتقل سميرة بنظراتها في أرجاء المكان قبل أن تجلس إلى طاولة وضع عليها جميع اصناف الطعام .. كل ما تتوق لرؤيته العين وتستلذُ بهِ الأضراس ..
وإلى جانب ذالك وضعت طاولة تحتوي على مشروبات متنوعة بشكلها و

ومذاقها إيضاً .. إن تنقلات نظرها السريعة تقاطعت مع دندنةِ مسعود وهو يغني بصوت عال لأولِّ مرةٍ في حياته ((أنتي عشقي و بالروح سكنتي.. دخيل الله جمالك ..

انتي روحي وقلبي أنتي .. ما أهوى بدالك ..))

ربما لم يكن يتخيل قط بأنه قد يغني يوماً ..(الحب الحقيقي أحياناً يقودنا للجنون ..

الجنون الذي جعلهُ يبعد العقل جانباً ويمسكُ بيدها طلباً للرقص . وكأنهُ خارج حدود الأرض .. ((ما أجمل الحب حين ترقصُ على إيقاعهِ أجسادنا مثقلين بنشوةٍ لم يدركها إلَّا من يُحب ..

نشوةُ مشاعرٍ لا توصف بالأحرف ولا تدركُ بالقراءة ..

أقترب من رقبتها وهو يهمس : إحبكِ اليوم وكل يوم .. إحبكِ للأبد .. ثم رفعَ نظرهُ قليلاً .. تلتقي النظرات بحُبٍ ولهفة قبل أن تهمس سميرة بنبرة دافئة : وأنا إيضاً ثم تدفعهُ للخلف بيدها اليسرى وترفع يدها اليمنى المتشابكة مع يده فوق رأسها وتدور كفراشة مذهلة .. كراقصة باليه تحترف الرقص بشغف .. تدور كما دار نقص الدوبامين في جسدها قدراً فأصيبت بمرض ((باركنسون او الشلل الأرتعاشي ..

إنها ترقص بحريةٍ مطلقة إنتقاماً لجسدها الذي قيدهُ العجز بوضعيةٍ مُنحنية .. تدور في مكانها كما تدور الأفكار في رأسها فترتسم صورة إبنتها ((سها ذات الثلاث عشرة عاماً .. يرتسم في مخيلتها مؤشر الصحة الذي

لا نكترث به إلا في الرمق الآخير .. حتماً سوف نشعر بالندم حين ندرك الفرق بين الماضي والحاضر .. العافية والعلة .. الألم والسعادة .. الحب والكره .. سنشعر بالندم حتى ندرك الفارق ما بين الحياة والموت في اللحظة الأخيرة ..

تدور سميرة برقصة تنفض عن جسدها غبار الحياة وعواملها .. تسقط عن جسدها الأفكار والمواقف وحتى المشاعر .. تسقط كل شيئ تعلق بجسدها وتعلقت به .. حركتها الدورانية توحي بفلسفة لا يكفيها كتاب ..

*****

لم يدرك مسعود تقلبات سميرة المفاجئة والتي جعلتها تسقط أرضاً بعد رقصتها الأخيرة .. إقترب منها صارخاً : ليس الآن .. سميرة استجمعي قواك ..

وقف حجر عيناها كفوهة بركان تكاد ان تنفجر .. وضع يده على رقبتها باحثاً عن نبض يبعث الأمل .. لكنه لم يجد نبضاً ولا حياة ..

لا نستطيع الوقاية من الموت مهما تعددت أشكاله وطرقه .. ولكن إرادة الأنسان أحياناً تجعله يحارب بكل قوته وإرادته لدفع الموت وتجنبه ... لم تستطع سميرة التغلب على أعراض هذا المرض والذي يسمى مرض المشاهير (باركنسون .. وقد صنف علمياً بأنهُ أضطراب يتفاقم تدريجياً ويؤثر على الجهاز العصبي وأجزاء الجسم التي تسيطر عليها الأعصاب دون علاج له .. (ستكون هذه الليلة الاخيرة رغم التحديات التي بذلتها ..) هذا ما قالهُ بالأمس الدكتور المشرف على حالتها ..

هل تعلمي يا أمي بأنني اشتقت إليك كثيراً .. ؟؟

ماذا فعلتِ اليوم ؟؟ حتى أراكِ مرهقة لهذهِ الدرجة ..

هل تعلمي بأنني أشتقتُ لغرفتي إيضاً .. أنتِ لست نائمة!! أرى دمعةً عيناكِ جيداً .. أرجوكِ يا أمُّي لا تبكِ .. ما حدث حدث كفى حزناً يا أمي .. إنني سعيدة هنا .. أرجوكِ لا تبكِ مجدداً ..

اووووه .. نسيتُ أن أخبركِ ((سميرة التي فارقت الحياة في الأمس أصبحت هنا يا أمُّي .. إنها لطيفة جداً معي وحنونة إيضاً .. لديها إبنةٌ جميلة جداً تدعى ((سها .. لكنها ليست شقية مثلي يا أمُّي .. لقد ذَهَبتُ إليها اليوم فقد إشتاقتها كثيراً ..

هناك شيئ أود أخبارك بهِ .. إنتبهِ لأبي كثيراً فقد رأيتهُ اليوم مهموماً جداً وبداخلهِ حزن كبير ولكنهُ لا يظهرُ ذالك أبداً .. كما تعلمي يا أمُّي الرجال لا تفصح عن حزنها إطلاقاً ولا تستطيع التعبير عنهُ أو البوح بهِ .. تؤجج نيران الفقد في الروح وتتغذى عليها دون أن يشعر أحد بذالك .. لذا إنتبهِ عليهِ كثيراً ..

ثم أنني نسيتُ أخبارك ((خوخا أخي لن أناديه بهذا الأسم أطلاقاً .. هو لا يحبهُ و أنا لا أريد مدايقتهُ أكثر .. إنتبهِ لخالد أيضاً .. هو يحبني كثيراً ومتأكدة بأنهُ حزين جداً لرحيلي ..

اغمضِ عينيك الآن ونامي يا أمُّي .. أريحي جسدكِ قليلاً و امسحي دموعك ..

سأذهب الأن فقد تأخرت كثيرا .. أعدكِ بأنني سأتي لزيارتك مجدداً ..

ضغطت (آيَلا) على زرِ التشغيل لآلةِ التسجيل بشغف قائلة :

كيف أستَطاعت (تمارة) إتخاذ قرارٍ كهذا ؟؟ ثمَّ أضافت : ماذا حدثَ بعدَ دخولها مركز الشرطة ؟؟

بنبرةٍ مميزة في سرد الأحداث قال :

كانت تنتظرُ المحقق (رَافائيل) بفارغ الصبر لكنهُ بعد أنتظار طويل دخل و بكل لباقة قال المحقق : أهلاً بكِ سيدتي .. أعتذرُ للتأخير .. (تمارة) هو إسمكِ أليس كذالك ؟؟

هزّت رأسها إيجاباً .. مما جعلهُ يضيف :

سَيدة (تمارة) لقد أخبروننني بأنكِ هنا للحديث عن شيءٍ مهم جداً ولن تتحدثي عنهُ إلّا بحضوري شخصياً .

قالت بثقة مطلقة : هو كذالك .. ثمَّ بدأت حديثها بعد أن مسحت التردد عن شفتاها قائلة :

إنّكَ الآن تعملُ على قضيةٍ معقدة بعضَ الشيئ ، مما يجعلكَ تفتقرُ للأدلةِ القطعية والتي جعلتكَ تُخطئ الحكم في عملك .

لقد أتيتُ إليك لأخبِركَ بأنّني أملكُ دليلاً فاصلاً في قضيتك .

ربما أصبح لأستفهامهِ الذي تعمّدَ إخفائهُ منفذاً مفاجئ ظهرت من خلال ما قالهُ دون تفكير : حقاً .. يسرَّني ذالك ، لكن ما هو هذا الدليل ؟؟

(سادَ الصمتُ عدةَ لحظاتٍ لم يُدرك فيها المحقق (رَافائيل) وقعَ الكلماتِ ما بينَ هراء و حقيقة .. كان ينظرُ في عيناها بتمعنٍ فقط . يبعدُ فكرةً و يقربُ أخرى .)

مما جعلها تحيطهُ بالذهولِ بعد أن كسرت حاجزَ الصمتِ قائلة : إنهُ زوجي .. زوجي من فعلَ ذالك .

قالَ المحقق (رَافائيل) وهو يمسحُ آثارَ صدمتهِ دهشةً : ماذا فعل زوجك ؟؟ بشهية مفرطة واصلت حديثها : فعلَ ما لا يجرؤ أحد على فعلهِ ..

ففي إيامِ ضيقهِ وصمتهِ المفاجئ بدأتُ ألحظُ عليهِ عدةَ تصرفاتٍ غريبة . بدأ الشكُ يراودني بقوة مما جعلني في حيرة من أمره . لقد رايتهُ بعيني في منتصفِ إحدى الليالي ينهضُ من السرير وهو يسيرُ على أطرافِ أصابعهِ . ثمَّ إرتدى ثيابهُ على عجلٍ بعد أن تأكدَ بأنني غارقة في النوم وغادرَ المنزل بهدوء . لقد كنتُ أتظاهرُ بالنوم لأن تصرفهُ الحذر لا ينتجُ إلَّا عن شيئ كبير و مهم إيضاً . لقد كانت خُطا أقدامهِ مدروسة بدقةٍ وثبات مما جعلني ألحقُ بهِ . وهذا ما أثار الشك بداخلي أكثر عندما دخلَ لأحدى محلات الصرافة .

(نصف ساعة) هو الوقتُ الذي أمضاهُ بالداخل . وأنا في دوامةٍ من الأفكار المختلفة إنتظاراً . لم تتاح لي الرؤية جيداً فيما حدث بالداخل لكنني سمعتُ صدى عدة صرخاتٍ مفاجئة قبل خروج زوجي من المكان وفي يدهِ حقيبة لا أعلمُ ما بداخلها .

قاطعها المحقق (رَافائيل) قائلاً : هل تعي ما تقولينه ؟؟ هل هذا حدث حقاً أمامكِ سيدة (تمارة) ؟؟

ردت على المحقق بشيئٍ من العصبية : لا تقاطعني مرة آخرة .ثمَّ أكملت حديثها قائلة : ظننتهُ إنتهى من ذالك وسيعود للمنزل . لكنهُ لم يعد

لحظتها . وإنّما ساقتني خطاهُ إلى منزلِ صديقتي الوحيدة والتي كانت بإنتظارهِ في ذالك الوقت المتأخر .

لقد أخفى عني علاقتهُ بصديقتي وأخفيتُ عنهُ بأنني الشاهدة الوحيدة على جريمتهِ . وفي مساءِ اليوم التالي صدحَ خبرٌ ضجت لهُ المدينة وقد كنتُ أدركهُ مسبقاً ولكن لا قدرةَ لي على أفصاحهِ أو أن أكون محض أنظار الجميع في جريمة حصلت بطريقةٍ مستفزة و موحشة إيضاً والجاني فيها زوجي . ولن أحدثك بما جرى بعد ذالك فالقضيةُ في متناولِ يديك وأنتَ أعلمُ مني بتفاصيلها .

(هذا كل شيئ تودينَّ قوله ؟؟) قال المحقق رَافائيل .

بالعصبية ذاتها قالت : لا ليسَ كلُ شيء .. ثمَّ أكملت حديثها :

لقد كنتُ مترددةً في علاقةٍ تجمعهُ بصديقتي الوحيدة ولكنني اليوم تأكدتُ من ذالك . لقد شاهدتهُ يدخل إحدى محلات الصاغة ثمَّ يخرج بهديةٍ صغيرة قبل ذهابهِ إليها .. مما دفعني لسؤال الصائغ عن ما كان يحملهُ زوجي فقال الصائغ : بأنهُ إشترى خلخال ذهب.

ضحكَ المحقق رافائيل دونَ قصد مما يجعلها تنفجر غيظاً .

ثمَّ أدرك إبتسامتهُ العريضة فقال :

(هو زوجك وأنت ملجأه و حصن أسراره ..)

لكن ما الهدف من إعترافك هذا ؟؟

هل هو دافعٌ من الضمير كشاهدة على جريمة ؟؟ أم على سرقة ؟؟

ثمَّ أضاف وهو متردد في فكرة تراوده : لماذا تفعلين ذالك ؟؟

لماذا تخبرينني هذا ؟؟؟

ردت عليهِ ببساطة : لأنهُ خائن .. والخائنُ يصحُ عقابه .

حتماً سنعاقبهُ ليس فقط على خيانته وإنما على جريمتهِ إيضاً .

مدت (تمارة) يديها نحو المحقق ثمَّ قالت : هيا .. أفعل ذالك . قم بإعتقالي الآن .

بشيئ من الدهشة قال المحقق (رَافائيل) : ماذا أفعل .. لماذا أقوم بإعتقالكِ أنتِ ؟؟

ردت عليه : لأنني احببتهُ كثيراً .

قال المحقق : وهل أصبحَ الحب جريمة ؟؟

بعد تنهيدةٍ صغيرة قالت : حين نُحب نُجبرُ على أفعالٍ لم نكن نتوقعُ إطلاقاً فعلها .. عندما نُحب نكون أشدُ تعصباً وأكثر هشاشة .

فإنهُ الحب .. يجعلنا نقترفُ حماقاتٍ كثيرة .

رد المحقق عليها : هل أنتِ حزينة لشهادتكِ ضده ؟؟ قد يكون من الصعب عليكِ فعلَ ذالك لكنهُ خائن .

نظرت في عينا المحقق بصلابة بعد أن قالت : لذالك قتلتها .

لمعت عينا المحقق (رَافائيل) فجأة مما جعلهُ ينهض من على الكرسي مستدركاً ما غفل عنهُ في قضيتهِ ثم نادى الشرطي قائلاً بعد أن حصل على مكان صديقتها : أحترز عليها ولا تفارق نظرَ عينيكَ إطلاقاً . ثمَّ خرجَ من الغرفة على عجلةٍ من أمرهِ وهو يردد : إنها هي . حقاً هي . إنها القاتلة . ثم صعد بسيارته متجهاً مع دوريتهِ والطبيب الشرعي الى العنوان .

أغلقت .. آيلا .. ألة التسجيل ، ثمَّ بدأت تستفسر من جديد :

لماذا تعترف (تمارة) بما فعلهُ زوجها ؟؟ وما فعلتهُ إيضاً ؟؟

_ لأنها يجب أن تفعلَ ذالك ..

سأحضر لكَ غداً كعكة الفراولة التي تُحبها .

_ هل تعلمي يا .. آيلا .. بأنكِ لصة ماكرة ؟؟

أظنُ بأنني كذالك .

_ ضوء القمر .. هذا ما يحمله إسمكِ من معنى ، إليس كذالك يا ..

آيلا .. ؟؟

دع عنكَ عبء الأسماء ومعانيها ، فأنا متشوقة جداً لمعرفةِ ما جرى بعدَ ذالك .

ضوء القمر هذا ما يحملهُ إسمكِ من معنى .. إليس كذالك يا (آيلا) ؟؟

هذا ما أعلمهُ إيضاً . ثم تضيف قائلة : دع عنكَ عبء الأسماء ومعانيها . فأنا متشوقة جداً لمعرفة ما حدث (لتمارة) .

_ هل تعلمي يا (آيلا) بأنكِ لصة ماكرة ؟؟

تضع كف يدها على خدها الإيسر قائلة : ربما في بعض الأحيان ثم تضغط على زر التشغيل لآلةِ التسجيل بشغف : دعنا نبدأ .

_ قال بنبرة مميزة في سردِ الأحداث :

يقول المحقق (رَافائيل) عندما سئلتُ الطبيب الشرعي عن سبب الوفاة رد بشيئ من التعجب : لقد تم إعطاء الضحية حقنة قاتلة بطريقة مبتكرة جداً ... فقد تم مزج ثلاثة محاليل كيميائية وهي ثيوبنتال الصوديوم الذي يسبب فقدان الوعي، وكلوريد البوتاسيوم الذي يؤدي إلى توقف القلب، وروكورونيوم بروميد لإيقاف عملية التنفس . إنها أبشع طريقة للموت .

بعد أن أخبرت (تمارة) المحقق (رَافائيل) بما حدث وكيف تمت خيانتها مع صديقتها الوحيدة وزودتهُ بالعنوان .. قام المحقق بالذهاب لمنزل صديقتها (الضحية) متيقناً من أدلة جديدة ستغيرُ مجرى الأحداثِ وتقلبها رأساً على عقب .

(قالت آيلا : هل تقتلها لمجرد الخيانة ؟!

(رد عليها مبتسماً : الخيانة أشد كرهاً من القتل .. ثمَّ أنَ المحقق (رَافائيل) لم يجد جثة صديقتها وإنما كانت جثة شقيقتها .

(بأستغراب قالت آيلا : شقيقتها !؟ كيف حصل ذالك ؟؟ هل الزوج من فعل هذا ؟ لاا لا أعتقد .. ثمَّ لماذا يقتلها !!

(يوضح قائلاً : لااا .. لم يفعل ذالك . فالزوج بريءٌ من كل التهم التي وجهت نحوه وليس هذا فقط وإنما لا وجود لهُ إطلاقاً (ف تمارة) ليست متزوجة أبداً .

(تقول آيلا : لقد حيرتني هذه القصة .. لم أفهم .. فسّر ذالك لي .

(قال : إنَّ ما قالتهُ تمارة للمحقق لم يكن هراءاً إطلاقاً وفي ذات الوقت لم يكن حقيقة .. إن ما تمر به تمارة حقيقيا بالنسبة لها بدرجة كبيرة لكن لا علاقة له بالواقع . منذُ مدة طويلة أصيبت (تمارة) بإختلالٍ كيميائي في وظائف المخ مما أدى لحدوث أضطراب عقلي حاد وقد يعود تأثيره على طريقة تفكير الشخص وسلوكه ومشاعره إيضاً . إنهُ يخلق عالماً مليئاً بالضلالات والهلوسة و الوهم . هذا المرض الذي يطلق عليه علمياً أسم الشيزوفرينيا وتعني (الأنفصام) والذي يتجلى كمصطلح علمي بمرض الشيزوفرينا .. (الأنفصام..) .

وهذا ما يحدث لتمارة الأن وما ترويه ليس سوى وهماً يتجلى بمنظورها الشخصي بالواقع .. لذا لم تكن تمارة متزوجة إطلاقاً وإنما كان يتهيئ لها ذالك .. لم تكن لديها صديقة وحيدة أبداً وانما كانت تظن ذالك عندما حرضتها الأصوات الغريبة على تقبل الوهم حقيقة والتعايش مع ذالك دون أن تستطيع الفصل بين عالمها الذي أفقدها التركيز وشقيقتها التي قتلت في لحظة تفكير خاطئة بعدما قامت بقتل الصراف بطريقة مستفزة جداً .

إن مرض الشيزوفرينا قادر على فصلك تماماً عن الواقع ويستطيع إن يرغمكَ على تقديم تراتيل غريبة في معبد الهذيان وضمن طقوسٍ مقدسةٍ يزفُ الإدرينالين فيها التهاليلَ تضرعاً لإلهِ الوهم بعد أن تحطمت كلُ معتقدات الوعي .

(أغلقت .. آيلا .. ألة التسجيل قبل أن تقول : ما بين الواقع و الوهم مسافةٌ لا تقلُ عن طرفةِ عين لذا من البديهي أن نغدو في هذه الحياة بطريقة تجعلنا نمتهنُ كلاهما دون إدراك ..

ثمَّ تستفسر بفضول : من الضحية فيما بينهم جميعاً ؟؟ لا أجدُ تفسيراً منطقياً لما حدث .

(يقول : إنَّ ما حدث وما قد يحدث ليس سوى تصورات و تخيلات حريرية تطرزها الحياة فنرتديها جميعناً وفقاً لمزاجية القدر فيما يتذوقهُ من ألوان ومقاسات .

تقول آيلا : لقد أحضرتُ لكَ كعكة الفراولة التي تحبها . أنها شهية جداً .

_ لستُ جائع .. لكن هل أحبها حقاً ؟؟

لدرجةٍ كبيرة جداً .. فقد كنّا نقوم بتحضيرها سويةً في كل يوم ثلاثاء .

_ لكنني لا أذكرُ ذالك إطلاقاً ..

ستتذكر ذات يوم كلَّ شيئ .. و ستعود لنا كما كنتَ في السابق إيها المحقق (رَافائيل) .

يسود الصمت لعدةِ لحظات قد تكون خانقة بعض الشيئ .. فالصمت كان كافياً لأن يحدثَ فصلاً شعورياً لا يتكرر .

إنني أشتاقكِ يا أمّي كثيراً ..
كيف حالكِ اليوم ؟؟ كيف هي حال أبي وأخي خالد ؟؟
أعلم بأنكم في شوق إليَّ إيضاً ولكن هذه هي إرادة الله وحكمهِ ..
السماء هنا جميلة جداً .. إنها تختلفُ كلياً عن نظرتكم لها .. تختلفُ عن طريقة تفكيركم بها .. إنها واسعة جداً وكبيرة إيضاً ..
اووووه يا أمّي .. كيف نسيتُ بأن أخبرك عن ((رمزي .. لقد قام بزيارة المحقق رافائيل ضمن عالمكم وأخبرني بأن ما جرى للمحقق هو غيض من فيض يغرق به عالمكم .. الكثير يا أمي أصابتهم الحياة بسهام إختل لها توازن العقل .. الكثير منهم اصبحو كالدمى .. بورتريه في مضجع الحياة لا أكثر ..
سأخبرك بشيئ أنثوي إيضاً ((لقد وجدتُ عدة تصرفات تكهنُ فينا في لحظة حب خاطئة .. مهما يكن يا أمي فالتبرير لا يصلح الموقف ..
سأخبركِ عن نورمان والتي قُتل زوجها بسبب توقف نبضه إثر جرعة زائدة من المنوم .. ((هذه الحادثة آثرت بي كثيراً حتى إنني حاولت عدة مرات التقرب من زوجها الذي أصبح هنا في السماء ولكنهُ لم يتقبل ذالك إطلاقاً بل لم يتقبل وجود إي روح إنثوية بجواره .. لن ألقي اللوم عليه ولم أتقبل ما جرى لهُ .. ولكن عذرته بكل مودةٍ لسبب رفضهِ الحديث معنا .

من الجيد أن يغفو الانسان كل ليلةٍ لمواصلةِ الحياة .. ولكن من المؤسفِ أن يغفو عقلُ الأنسان وأحساسهُ لما يحيطهُ في نفس الوقت ..

شعرَ ياسر بدوارٍ في رأسهِ .. إرتخاءٌ عام أصابَ جسدهُ بشكلٍ مفاجئ .. يشعر بالنعاس لدرجةٍ كبيرة جداً وكأنه لم ينام منذ مدة طويلةٍ .. وضع يده على جبينه وبدأ بتدليكِ رأسه عدةَ مراتٍ قبل أن يغرقَ في النومِ بشكلٍ تلقائي ..

يستعرضُ عقله الباطني لحظةَ زواجهِ كحلمٍ يراوده .. يغوصُ ياسر منتقلاً بين العقل الباطني وخيال آحلامهِ .. صورٌ و أحداثٌ وتهيأت يراها وهو غارقٌ في نومٍ عميق وصوتُ شخيرهِ ملئ المكان ..

نظرت إليه زوجتهُ بحسرة وهي تحدثُ نفسها قائلةً : ((حسبي الله ونعم الوكيل .. ثم تممدت بجانبهِ على السرير وهي تفكر بصوت مسموع بعض الشيء ((ما حجم الذنب الذي أقوم بإقترافه مقارنةً بأنانيتكَ .. قسوتكَ .. ونرجسيتكَ إيضاً ..

أنا أخافكَ حقاً .. أنا أحبكَ إيضاً .. لكنني لا أثقُ بكَ ..

بالرغم من حضورك الجميل .. بالرغم من رجولتك التي لا استطيعُ إنكارها .. بالرغم من نجاحكَ في هذه الحياة إلا أنني حقاً ((لا أثقُ بك ..

((أقصدُ بالثقةِ التي نحتاجها كي نبقى أوفياءً للأبد ..

عدة دقائق جعلتها تنظر للساعة أكثر من تسعِ مراتٍ .. نصفُ ساعة كادت أن تنام فيها ولكنَ النقرات الخفيفة على الباب جعلتها تستعيدُ إدراكها بشكل تام .. تهرول نورمان إلى الباب بسرعة ثم تفتحهُ بلهفة وهي تقول : لماذا تأخرت ؟؟ دخل سامر إلى المنزل ثم أغلق الباب خلفهُ وهو يجيب : إين هو ؟؟

ردت نورمان : ألا تسمعُ شخيرهُ إيها الأحمق اللعين ؟؟ ثم أحتضنتهُ باللهفة ذاتها وهي تواصل : إنني اشتقتكَ .. لحظاتٌ شعورية تمتزجُ على إيقاعِ شخيرِ زوجها بفولكلورٍ عميق ..

دخل سامر غرفة النوم ثم ردد ممازحاً : انظري لزوجك اللعين هذا .. يروقني شكلهُ وهو نائم كملاكٍ بريئ .. هل ترين ما أجمله ؟؟

ردت نورمان : أرى ذالك جيداً .. أرى الفرق ما بينكَ وبينهُ .. أرى فظاظتهُ ورائحتهُ التي تحرض على الأشمئزاز .. أرى ذالك جيداً وبعمق ..

جلس سامر على السرير بجانب زوجها ثم نظر إليه لعدةِ لحظات متتابعة قبل أن يمسك بيد نورمان ويجذبها إلى أحضانهِ وهو يقول : غداً عليكِ تقديم إعتذار لزوجك .. يستحقُ اعتذاراً كبيراً .. فإنني أقوم بمشاركتهِ سريرهُ وزوجتهُ إيضاً .. ضحكت نورمان ثم قالت : لا عليك .. لا أظن بأنه يحتاجُ لأعتذار .. ثم قالت وهي تستفسرُ بدهشة : ما الأمر !! لماذا تنظر إليهِ بهذا العمق ؟ بشيئ من الحيرة قال لها : لا أعلم .. ولكن هذا اللعين زوجك بماذا يشعر الآن ..؟؟ بماذا يحلم ..؟؟

((ربما يحلم بي قالت ذالك ببرودة مع إبتسامة صغيرة ..

واصل سامر القول : هل تسخرين من ضعفهِ الآن أم من حماقته ؟؟

بالدهشة ذاتها ردت : من قال لك إنني اسخرُ منه !! أحدثك بجدية .. ربما يحلم بي فعلاً .. هو يحبني ويحدثني بأن قلة ما تخلو احلامه من رؤيتي ..

بشي من الجدية قال سامر : حقاً يا نورمان هل تخبرينني الصدق ..

ثم واصل بأستفهام : من منا تحبينهُ ومن منا تخونينهُ ؟؟

بعدم مبالاة تقول : ماذا تقصد ؟؟

يشير سامر بيده إلى زوجها ثم يواصل : هذا زوجك اللعين . وأنا حبيبك ..

بحق من تخونين أنتِ ؟؟ زوجك أم أنا ؟؟

بشيئ من الأنزعاج ردت : ما بك اليوم .. لم أعهدك بهذهِ العقلانية من قبل وما سر هذهِ المبادئ المفاجئة ؟؟

طوقها سامر بذراعهِ وهو يهمس : بضعُ اسئلة تدور في رأسي لا عليكي من ذالك ..ثم وضع قبلة على يدها وهو يتحايل عليها بسؤال جديد .. هل مذاقُ التضحية يستحق هذه الخيانة ؟؟

نظرت نورمان في عينيهِ بعمق ثم قالت : تقصدُ مذاقُ الحُب .. تواصل : نعم ((الحُب يستحق هذه التضحية كلها .. الحب الذي احدثك عنهُ وأشعر بهِ الآن ثم تشير بيدها إلى زوجها وهي تكمل : حتى في هذا اللعين .. وحدهُ الحب يستحق التضحية بكل شيىء قد يخطر في بالك ..

يقترب سامر من وجهِ زوجها ثم يهمسُ قائلاً : ((الأنثى حين تُحب تجبرُ على التضحية وليس الخيانة كما تسمى في مجتمعنا الشرقي . لذا حاول أن تتحرر في أحلامك من قيود المجتمع وتقبل خيانة زوجتك على أنها

تضحية حب لا أكثر ..

ثم واصل بجدية : هل حقاً ما تقولينهُ ؟؟ أم إنهُ مجرد تبرير لما نفعلهُ أنتِ وأنا ..

نظرت نورمان في عينا سامر ثم قالت : سأخبرك بأشياءٍ أنثوية محض .. أشياء خاصة بالجنس اللطيف وطريقة تفكيرهم المعقدة ..

الأنثى مزيج غريب من التناقضات والمشاعر .. مزيج غريب من السهل الممتنع . قد تبدو لك ماكرة جداً .. تبدو جنونية .. لامبالية .. خائنة إيضاً تظهر ذالك متى تريد ولكن تأكد بأنها تُسقط كل ذالك حين تُحب ..

المرأة تحتاج لرجل يكبح جماحها ثم يشعرها بالدفء والأمان .. تحتاج لرجل يجعلها تكرهُ جميع الرجال حين تحبهُ

المرأة تحتاجُ لرجل يشعرها بقسوتهِ وفي ذات الوقت يعطف عليها كشعلة حب لا تنطفئ .

وفي النهاية يجدر بك القول ((إن ما تبحث عنهُ المرأة حين تُحب هو الأحتواء فقط . يصبح هاجسها الوحيد . ما عدا ذالك يسقط من قاموس مشاعرها بالكامل ..

لكن دعنا منه الأن واخبرني : هل تشتاق إلي ؟؟

يحتضنها سامر بلهفة وحب وهو يقول : سأخبرك بذالك الآن ..

الثامنة صباحاً بتوقيت استيقاظ ياسر من نومه العميق .. حرك رأسه يميناً وشمالاً وكأنهُ ينفض غبار الأحلام ..ثم نهر نورمان بيدهِ وهو يوقظها قائلاً : أما زلتِ نائمة ؟؟

ترمش عينا نورمان عدة مرات قبل ان تفتحهما وبنبرة متقطعة تقول : ما بك .. ماذا تريد في هذا الوقت المبكر ..

قال بإنزعاج : أنهضِ إلى المطبخ فأنا جائع ..

ببحة صغيرة ردت : أعددتُ لك الفطور منذُ الفجر .. دعني أنام الآن ..

نظر إليها ياسر بتعجب ثم نهضَ من فراشه وهو يرددُ قائلاً : ألن تشاركيني الفطور ؟؟ إلى متى ستبقين نائمة ؟؟

ثم خرج من الغرفة وهو يتمتم بصوت مسموع : إنها متعبةٌ حقاً

الفصل الثالث

((الأرادةُ لا تعني الخلود ولكنها تحققُ المستحيل ..

تقدمُ بائعة الورد زهرة البيغونيا ثم تقول : أختيار رائع .. إنها تحتاجُ إلى الرعاية والأهتمام يومياً ..

يقول بدهشة : لاا .. أنا فوضوي بطبيعتي أريد شيئاً مختلفاً ..

تشير بائعة الورد إلى النرجس قائلة : أهتمام أقل وجمالية خاصة ..

يشير إلى نبتةِ الصبار قائلاً : هذه .. ماذا ستقولين عنها ؟؟

تبتسم بائعة الورد وهي تقول : لا تحتاجُ للحب إطلاقاً .. لا تحتاج للرعاية والأهتمام .. أختيارٌ موفق .

((كان ذالك قبل عدةِ لحظات من وقوع الحادث ..

تدهورت حالة إبراهيم العيسى النفسية بعد أن بُترت قدماهُ أثر حادثةٍ تبناها القدر ..

ولكي أوضح الأمر تماماً فقد أصبح إبراهيم معاقاً ذوي احتياجات خاصة .. لقد تحول بشكل جذري من الأكتفاء إلى النقص ..

إن الشيئ الأخير الذي يذكره في تلك الحادثة هو خطواته الأخيرة دون مساعدة من آحد و التي كانت نقطة التحول في تدهور نفسيته أثناء معالجته .. استمر تدهور حالته طويلاً مما جعله يفكر في الانتحار ولكن ذالك كان عائقاً أمامهُ إيضاً .. هو لا يستطيع فعل ذالك لوحدهِ .. وبعد عشرات المحاولات الفاشلة قرر أن يتصالح مع ذاته . مما جعلهُ

يفكرُ بالأمر ملياً . أن يحيا حياةً جديدة ويتقبل الامر رغم صعوبتهِ .
بدأ البحث عن طريقةٍ يستطيعُ من خلالها الأعتماد على نفسهِ وتقديم شيئاً محفزاً لمن في حالتهِ هذه .. بدأ التفكير ملياً في الأمر مما جعلهُ يلتهم عشرات الكتب والمراجع والمقالات .. حاول قدر الأمكان العمل على معالجة الحالة النفسية وتقديم المساعدة ما أمكن ..
والآن .. اسس إبراهيم عدة جمعيات وشركة خاصة لدعم ومساعدة ذوي الأحتياجات الخاصة .. فقد أصبح اليوم ناشطاً فعالاً على مواقع التواصل الاجتماعي ويمتلكُ جمهوراً كبيراً ومتابعين على مستوى العالم يقدم لهم مزيجاً من الإرشادات و الدراسات النفسية في السلوكيات الانسانية .

وضعت الممرضة المشرفة على رعاية السيد إبراهيم فنجان القهوة على سطح المكتب ثم استفسرت قائلة : هل تريد شيئاً آخر ؟؟
قال بعد أن أظهر لها إبتسامة صغيرة : لا .. شكراً لكِ سيدتي . ثم واصل عملهُ في قراءة الأسئلة المطروحة من المتابعين على مواقع التواصل الاجتماعي .

♧ تقول سمر بأن زوجها كثير الظن والشك بالآخرين لدرجة لا تطاق ابداً تخيل يا استاذ ابراهيم ذهبنا في الأمس لزيارة أختي بعد عودتها هي وزوجها من لندن وأثناء الزيارة بدأت أستفسر منها عن مدينة الضباب لندن وجماليتها ومعالمها السياحية .. صدقني يا استاذ ابراهيم مجرد حديث عادي

لا أكثر .. لكن لا أعلم ما حصل لزوجي لحظتها فقد ثارت ثائرتهِ وغضب غضباً شديداً وبدأ ينهال علينا بالتوبيخ والأساءة وفظاظة القول وفي ختام ذالك قال بأنني على أتفاق مع أختي بهذه الزيارة لأهانتهِ والأساءة إليه و أن زوج أختي أفضل منهُ .

(ماذا تقول في ذالك وهل أستطيع مساعدته للتخلص من سوء الظن هذا ؟؟

ومع العلم يا استاذ انا أحبهُ كثيراً ولكنني لم أعد أطيق تصرفاته .

يرتشف إبراهيم رشفة صغيرة من فنجان قهوتهِ وهو يفكر ملياً في حديث سمر وعلةِ زوجها .. يأخذ نفساً عميقاً ثم يبدأ الأجابة عليها قائلاً :

إن شخصية زوجك يا عزيزتي هي شخصية شكاكة ومرتابة ويغلب عليها سوء الظن والمبالغة في الحذر بالإضافة للتأثر الكبير بإنتقادات الآخرين وتضخيمها بشكل كبير مع عدم الاعتراف بالنقص والجهل الذي يكمن فيه ..وقد يشغل تركيز هذه الشخصية على هفوات الأخرين وآخطائهم والمبالغة في الصرامة والشدة . ولا يسعني أن أقدم لك إلا بضعة أفكار قد تساعدك بعض الشيئ ..

عليك أعطاءه ما يستحق من الأحترام والتقدير مع المبالغة قليلاً ..

محاورته بهدوء والأصغاء له دون جدال أو مواجهة ..

عدم المبالغة في صراحتهِ وتقديم الاعتذار بشكل متكرر ..وفي النهاية يجب أن يكون التعامل معه بحذر شديد فهذه الشخصية تقرأ ما بين السطور بوضوح ..

♧ تقول مجدولين يراودني أحياناً شعور بالضعف والخوف من أستغلال الآخرين لي .فأنا يا أستاذ إبراهيم فتاةٌ طيبة ومتسامحة جداً ولا أحملُ في داخلي حقداً أو كرهاً لأحد .. استمتعُ في تقديم المساعدة والرأفة للآخرين وأسعادهم .. ولا أفرق بين شخص وآخر .فأنا متسامحة جداً ولا أحب الخصومات والمجادلات آبداً ..

((رد إبراهيم عليها : هنيئا لنا بشخصية عطوفة ورقيقة ولطيفة مثلك .. شكراً لوجودك في زمننا هذا ..

♧ يقول مهند بصراحة مطلقة يا أستاذ إبراهيم أنا شخصٌ عدائي .. متسلطٌ على الأخرين أحياناً أملكُ جرأةُ كبيرة في كل شيئ يخطرُ في بالك مما يجعلني إلزمُ من حولي بما أريد وحتى لو كان خطأً ..

أجدُ نفسي دوماً غاضب دون سبب وقد أشعر بالكرهِ أحياناً دون مراعاةٍ لمشاعر أحد ..وفي النهاية أملكُ ثقةً كبيرة تجعلني الآن أؤمن بأنني أستطيع أن أتغير ..

((رد إبراهيم بعد عدة لحظات من التفكر .. بالفعل تمتلكُ جرأة كبيرة مما يجعلك تقول هذه الأشياء عن نفسك مع العلم بأنها سيئة جداً ..

إيمانكَ بالتغيير أنصحك بأن تدعهُ يظهر في أفعالك لا في جرأتك على الحديث .. خذ وقتاً كافياً للتأمل .. و ضع نفسكَ هدفاً لتحقيق ما تسعى إليه ..

((لكل منا شخصيتهُ المستقلة وطريقة تفكيره الخاصة إيضاً .. فالشخصيةُ مجموعةِ خصالٍ وطباعٍ متعددة ومتنوعة .. وموجودة في كينونةِ الشخص ((كنظام متكامل ..

لن أخفيكم القول بأن تطوير الشخصية يبنى على قواعد كثيرة .. أهمها ثقةُ الفرد بقدارتهِ وبنفسهِ وأمكانياتهِ .. إحْدَاثُ التغيير في جميع جوانب الحياة التي يعيشها .. الأرتقاءُ بالذات والتفكيرِ إيضاً

تابع إبراهيم ردودهُ على المتابعين وهو ينتقلُ من شخصيةٍ نرجسية إلى شخصيةٍ إنطوائية ومن شخصيةٍ سوية إلى شخصيةٍ ساذجة .

كان يقفُ عند إرشادات هذا ونقاطُ التحول في تلك محاولاً قدر الإمكان تشخيص وتقديم ما أمكنتهُ معرفتهُ من ذالك .

بدأ الانتقال في العوامل المؤثرة لكل شخصيةٍ وكيفية التعامل معها .. فالشخصية بشكلٍ عام تغلبُ عليها الوراثة لأكتسابِ بعض الصفات .. والخلقة إيضاً فالعديد من الدراسات أكدت بأن في الدماغ العديد من المراكز الحيوية التي تدير العمليات العقلية والنفسية ..

البيئة والأسرة التي لها دور كبير في التنشئة وهي بمثابة البيئة الأولى لتكوين البذرة الأنسانية بين مهارات وسلوكيات وقدرات تنعكس سلباً أو إيجاباً .. ولا ننسى المؤثرات الثقافية والأجتماعية ما بين العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات .

صعدت روح إبراهيم إلى السماء منذُ عدة لحظات فقط يا أمّي ..

إرادة الله وحكمهِ الذي لا يجب أن نعترض عليه إطلاقاً ..إنهُ لا يعلم شيئاً عن السماء بعد .. أعدكِ بأنني سأكون لطيفة جداً معهُ وأن أخبرهُ بكل شيئ هنا .. لكن الأن لندعهُ يرتاحُ قليلاً من عناء هذه رحلتهِ القادمة من عالمكم ..

أشتاقكِ كثيراً يا أمي ..

أشتاق لأحضانك .. لنظرتكِ الدافئة .. لأحلامٍ لم أستطع تحقيقها بالقرب منك .. أشتاقُ لكم كثيراً .. أشتاقُ لأبي وأخي خالد ..

أعلم بأنكم تتذكرونني دائماً وأعلم بمدى أشتياقكم لي ..

سأعترف لكِ أعترافاً صغيراً ((السماء أفضل من عالكم بكثير يا أمّي ..

فيها نقاءٌ كلّي .. صدقٌ و طهر .. فيها صفاءٌ كامل .

أنا هنا سعيدة يا أمّي .. وقد أصبح لدي علاقاتُ واسعة مع الكثير من الأرواح .. هنا حيث الأرواح تجتمع .. هنا حيث الثقل الكوني لماهية العدم .. هنا أنا ..

((الإبحار لا يحتاج لسفينة بقدرِ ما يحتاجُ لجرأةٍ على امتطاء الأمواج ..

بعضُ الأسئلة تكون لها أبعاد مخيفة جداً .. هي وليدةُ الحيرة والتفكر اللذان يرصدهما الأستفهام .. عدم الخوض في غمارها لهُ دور كبير فقد مُنعنا من الأقتراب منها في سن مبكرة .

الأغلبية قد ترودهم تلك الأسئلة الغريبة العميقة والمخيفة إيضاً ولسبب ما تبقى طيلةَ العمر دوان جواب لها .. تبقى في إطارٍ يحرمُ طرحها أو التفكير بها حتى .. (وربما هذا الخطأ بعينه ..

من منكم لم تراودهُ هذه الأسئلة يوماً ما ؟؟

من منكم لم يقف حائراً أمام هالتها وأبعادها ؟؟

قلةُ الأدراك وعدم الفهم هي العجز الكلي الذي نصاب به في لحظة أمام أطفالنا .. أمام أنفسنا .. أمام إيماننا .. أمام الله ..

ومع الأسف .. لست بصدد الأجابة عن هذه الأسئلة وإنما للتنويه عن ما نجم عنها من نقاط يتم التلاعب بها .. وذالك لعدم توفر الأجابة الكافية أو إتاحتها للجميع ..

.. عقل ناضج .. تفكير واعي .. حقيقة متوازنة .. اسلوب راقي ..

هي محصلة مراد بعد قرائته لكل الكتب التي وقعت عيناه عليها طيلة الأربعين عام من عمره ..

((فندق الشام ..

التاسعة ليلاً بتوقيت الأجتماع الذي تم عقده مع عدة شخصيات دينية ..

يضم الأجتماع حديثاً يحمل أبعاداً دينية عميقة وميتافيزيقية بحتة ..قد ينتقل لعدة جوانب يصعب على المرء العادي التفكير بها او استيعابها .. ولكن من المؤكد أن الجميع يريدون الإطلاع على نتاجها

♧ حين يتم العزف على وتر الإيمان تصدح أنغام برمجة العقول بإيقاع متكرر ومشوه إيضاً .. ((ألة موسيقية واحدة قد تبتكر مئة سمفونية مختلفة تحمل كل منها طقسها الملكي الخاص ..

(فمن الأجمل في هذا النزاع ؟؟

تقاطعات السمفونية ؟؟ أم أختيار الآلة الموسيقية ؟؟

في الحالتين الموسيقى لاتعني شيئاً بالمقابل للهدف من سماعها ..

♧ التحريف الحقيقي ليس لكتاب أو لمذهب أو معتقد وإنما هو إنحراف النفس عن الجوهر وأنتقالها لما يخدم المصالح الشخصية .. الطبقية .. و الارستقراطية ..

♧ الأشراك والكفر هما في تحديد ماهية وفكرة العدالة الآلهية وتفسيرها لما يخدم المصالح ذاتها حتماً..

♧ إن البعض يحاولون بناء تقنية الدين وفقاً لنظريات تعاد في كل عصر بطريقة مختلفة ومنها ما قد يخدم نظرية المليار الذهبي بحد عميق .. يقول كتاب التلمود الذين وضعوه ساسة العالم (أنتم إيها اليهود وحدكم البشر أما غيركم فهم غوييم والغوييم ليسو بشرا بل هم حيوانات .. اعلمو ان قتلكم الغوييم هو قربان لله))

لا أعلم حقاً ما مدى ثقل القيود .. حجمها وشكلها لكنني وأرى جيداً كيف نشارك دون وعي في الحفاظ عليها .. قيود أسرتنا بالعذاب والجحيم والنقمة .. قيود تثقل أرواحنا بعدم الفهم والأدراك .. قيود تحيطنا من كل جانب دون أن نجرؤ على نزعها أو لمسها حتى ..

لقد ابتعدنا عن الجوهر .. ربما اجبرنا على ذالك ..ربما خوفنا من المجهول .. عدم إدراكنا لماهية الله والإيمان المطلق به ..

حتى الأغلبية من علماء الدين لن تتيح لنا حق المعرفة لأسباب لا أود ذكرها بقدر ما أود القول لهم ((عذراً .. جعلها الله في ميزان معرفتكم))

أنهى مراد حديثهُ ثم جلس على الكرسي بإنتظار الكم الهائل من الردود والتكفير والشتم .. والذي بدأ ينتفض في صدر كل الحضور حقداً وكره ..

لا أستطيع وصف شعور مراد او التحدث عنه وإنما أستطيع أن ألخص ما دار بداخله عندما وضع رأسه على الطاولة ثم أغلق عينيه بهدوء وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ..

■ الله هو الظاهر والباطن ..

الظاهر فعله والباطن ذاته ..

* يقول الصوفي الفقير الذي يلبس الخرقة :

■ كتاب (رأيتُ الله)

د. مصطفى محمود

الحياة لذة عظيمة لأنها قراءة هادئة وممتعة لسطور الحكمة الأزلية في كتاب الكون الذي تتعاقب صفحاته .

إنَّ وراء الأقدار التي تبدو غادرة في مظهرها حكمة ، وأن كل قطرة دم تسيل لا تُهدَر سُدَى وإن ظهر لنا من سطح الحوادث أنها أهدرت سدى .

أنها تبدو كالعبث واللامعقول بالنسبة لمن لا يعرف كيف يقرأ الحوادث .

(المهم و الأهم ..

أن نقرأ بالعقول والبصائر لا بالعيون ..

وكيف نرى الله في سجل أفعاله ..؟؟

وكيف نرى إثر يديه على مخلوقاته ..؟؟

وكيف نعرف ما وراء الظاهر المبتذل للحوادث ..؟؟

وكيف نفك الشيفرة السرية التي كتب بها كتاب الأقدار

يقول الله لعبده :

ألقِ عنك كل ما بدا من جواذب الأغراء ، اخرج من علمك وعملك ومعرفتك وصفتك ونفسك واسمك.. اخرج عن الحرف والمحروف .. ألق العبارة وراء ظهرك وألق المعنى وراء العبارة وألق الوجد وراء المعنى وادخل إلي وحدك تراني .

■ كتاب (رأيتُ الله)

د. مصطفى محمود

في هذه الحياة .. إننا نخوضُ حرباً كبيرة وكأننا في معركة عظيمة فيها السيوف والدروع والمناجيق ونحن في وسط المعركة نحاربُ بأفكارنا فقط ..

لا يحتاج الامر الكثير من الجهد .. كل ما عليك فعله هو انتظار غروب الشمس ومع ظهور الشفق أغمض عينيك فقط ..

_ لم أرى شيئاً ؟؟

وهنا يكمن سر هذا الإبتكار العجيب .. صفاءٌ عقلي كامل ثم أغمض عينيك مجدداً .. وأخبرني ماذا ترى الان ؟؟

_ لا أرى شيئاً

هذا يدل على تشتتك وعدم تركيزك .. أبعد كل الافكار من رأسك ستجدي امام عينيك وميضٌ صغير ((وميضُ عتمة .

_ إنني أرى عتمة كاملة فقط ((وميض ماذا الذي تتحدث عنهُ ؟؟ولكن انتظر .. هل تقصد هذه الدوائر التي تتشكل تلقائياً أثناء عملية إغلاقنا للجفن ..

هل تؤمن حقاً بأن هذا هو الوميض الذي أحدثك عنه ؟؟

_ لا خيار أمامي سوى أن أومن بهِ ..

إذاً حاول الأمساك بهذا الوميض من خلال تثبيتهِ جيداً .. وهذا الامر يحتاج تدريبا متكرراً وصفاءُ ذهن عميق .. في حال أردت التفكير في إي شيء سيختفي هذا الوميض نهائياً وتجبر على المحاولة من جديد .. هذا الوميض هو صلة الوصل بين العالم بأسره من خلال معادلة غيبية تسمى ((شظايا التفكير ..

بهاء مفيد قصاب

سوريا / ٢٠٢٢